المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الأعظم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، رفع قدر العلم وعظمه، وشرف العالم بعلمه وكرمه، حض عباده المؤمنين، على النفير للتفقه في الدين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ ﴾.

والصلاة والسلام على من نزلت عليه أنوار السماء، فأخرج الناس بها من ظلمة ظلماء، إلى منهج سوي ومحجة بيضاء وأخبر أن الملائكة تضع أجنحتها للعلماء، وأن الحيتان تستغفر لهم في الماء، سيدنا محمد الهادي إلى سبيل الرشاد، وآله وصحبه المتزودين بخير زاد.

أما بعد:

فقد شرف الله ﷻ هذه الأمة بأن جعل علماءها في هدايتهم للخلق كأنبياء الأمم الخوالي، ولذا جعل في كل طبقة من طبقات هذه الأمة علماء يهدون الناس ويرشدونهم إلى طرق الخير والرشاد، وعلى أقوالهم مدار الأحكام، وعلى مذاهبهم يفتي فقهاء الإسلام، ومن هؤلاء العلماء الإمام شريح القاضي ﷺ الذي ملأ الآفاق فقهًا وعِلْمًا، حتى صار اسمه في الفقه الإسلامي عَلَمًا، يعرفه القاصي والداني.

فكان لذلك مستحقًا أن تكون جهوده الفقهية محلا لدراسة تبرز عبقرية هذا الفقيه المجتهد الذي مازال الناس ينتفعون بعلمه وفقهه.

ولقد اخترت جهود الإمام شريح القاضي لتكون موضوع دراستي هذه سائلا الله أن يجعلني موفيًا بحق هذا العالم الجليل والفقيه العظيم، وأن أبرز تلك المواطن التي ميزت فقهه عن فقه غيره من الفقهاء المجتهدين.

ولقد اخترت أن تكون هذه الدراسة بعنوان:

"منهج الإمام شريح القاضي الفقهي دراسة تأصيلية"

أحاول في هذه الدراسة أن أقوم برحلة في عقلية الإمام شريح الفقهية لأصل إلى القواعد والأصول المنهجية التي بني عليها كل هذا الكم من القضاء والاجتهاد، والله المستعان.

❁ وترجع أهمية هذه الدراسة إلى:

١) كون الإمام شريح القاضي ظاهرة من الظواهر التي يندر وجودها في تاريخ الفقه الإسلامي؛ وذلك لأنه مكث فترة طويلة لم يعلم أن قاضيًا قضاها في القضاء، حيث بلغت هذه الفترة أكثر من ستين عامًا، وهذه الفترة المليئة بالاجتهادات في نوازل وحوادث جدت لاشك أنها تحتاج إلى بحث يكشف عن مخزونها الضخم، ليتيسر الاستفادة بهذا الزخم الفقهي.

٢) أن آراء الإمام شريح الفقهية تعد بحق التطبيق العلمي للقواعد الكلية التي وضعها مؤسسو فكر مدرسة الرأي من كبار الصحابة ﷺ مما يعني أن دراسة فقهه سوف يكون لها أثر كبير في إكمال التصور عن حقيقة فكر مدرسة الرأي.

٣) وأن الإمام شريحًا ﷺ ينتمي لطبقة كبار التابعين –رحمهم الله– وهذه الطبقة من الفقهاء المجتهدين لم تنل حقها الكافي من الدراسة، لأنها مرحلة عاصرت نشأة المدارس الفقهية؛ مما يجعل القواعد الكلية التي

تنبني عليها أفكار وآراء هذه المدارس مازالت في حيز الظاهرة، وهذا يجعل دراسة آراء الفقهاء الذين ينتمون لهذه الطبقة أمرًا شاقًا يحتاج لتضافر الجهود التي سيكون هذا البحث محاولة في هذا الاتجاه.

٤) أن الإمام شريحًا ﷺ لم تتعرض دراسة سابقة لدراسة آرائه الفقهية وأقضياته مع ما تمثله هذه الأقضيات من أهمية بالغة في دراسة تاريخ التشريع الإسلامي.

٥) أن هذا البحث محاولة للكشف عن الماهية التي كانت عليها الخطة التشريعية في عصر الإمام شريح، والأبحاث في هذا الموضوع تحتاج لمزيد من الأبحاث.

٦) هذا البحث يشتمل على عدد من الأطروحات التي تعد جديدة على دراسة جهود المجتهدين في عصر نشأة المدارس الفقهية، ومن ذلك دراسة رأي الإمام شريح ﷺ في موضوعات: الإثبات، والحجية، والفهم، والاستدلال، المقاصد الشرعية.

ولقد كان سبب اختياري لهذا الموضوع، يرجع لِمَا كان من صلة قديمة نشأت بيني وبين أخبار الإمام شريح التي زينت بها كتب التراجم لما فيها من فوائد وحِكَم، وازدادت هذه الصلة عند دراستي في السنة التمهيدية للتخصص (الماجستير) عندما اخترت موضوع (الشرط الجزائي من منظور الفقه الإسلامي) ليكون أحد الموضوعات التي أبحثها في تلك السنة.

وأثناء بحثي وجدت أن الإمام شريحًا ﷺ كان له قدم السبق في مناقشة فكرة الشرط الجزائي في الفقه الإسلامي حيث يعد قوله: «**من شرط على نفسه طائعًا غير مكره فهو جائز**» أول الأقوال المأثورة في الفقه الإسلامي التي تشتمل على رأي في مسألة الشرط الجزائي.

فأحسست في حينها أنني أمام عبقرية فقهية تحتاج لدراسة مستقلة تبين أسرارها وأدواتها التي ضمنت البقاء لأقوال صاحبها إلى عصرنا نبعًا ينهل منه الفقهاء لحل المشكلات التي تقع في عصرنا.

ومن هذا الحين عزمت على أن يكون لي شرف دراسة هذا العَلَم الخفَّاق من أعلام الفقه الإسلامي ورواده، ثم كانت هذه الدراسة التي أسأل الله ﷻ أن يغفر لي زلاتي فيها وأن يقبلني بحسن نيتي فيها.

❁ ولكني ما إن شرعت في الدراسة حتى توفرت علي جملة من المشكلات والصعوبات كان من أهمها:

١- كثرة الآثار المروية عن الإمام شريح التي تحتاج إلى تمحيص ودراسة لكي تصلح أن تكون ضمن مادة هذا البحث.

٢- أن المصادر الأساسية في هذه الدراسة كانت تحتاج إلى ضبط وتصحيح في كثير من مواضعها لما تشتمل عليه من أخطاء تؤدي إلى تغيير المعاني عن مقاصدها، ومن ذلك ما وقع في مصنف ابن أبي شيبة من أن الإمام شريحًا كان يُسْلِمُ على الحُصْرُم. وهذا خطأ؛ لأن الصواب: أنَّ الإمام شريحًا كان يُسَلِّم على الخُصُوم. ولاشك أن المعنيين بينهما بون كبير ولا يمكن الوصول إليه إلا بالبحث والدراسة.

٣- خلو كثير من الآثار المروية عن الإمام شريح مما يساعد في عملية التحليل الفقهي لها.

٤- إيجاد عنوان يتناسب مع جهود الإمام شريح الفقهية.

وقد حاولت التخلص من هذه المشكلات والصعوبات بوضع خطة دقيقة لدراسة هذا الموضوع سواء أكان هذا في مرحلة الإعداد لصياغة البحث أم في مرحلة صياغته.

❁ **وكانت هذه الخطة على مرحلتين ألخصهما على النحو التالي:**

١) مرحلة الإعداد لصياغة هذا البحث: بدأت في هذه المرحلة بعد تسجيلي لموضوع الدراسة فقسمتها إلى ثلاثة أدوار هي: **دور جمع المادة** من المصادر الأساسية كالمصنفين والسنن الكبرى ومعرفة السنن والآثار وسنن سعيد بن منصور والكتب الستة وغيرهم.

ودور تصنيف المادة التي جمعتها فقمت بتصنيفها على أبواب الفقه الإسلامي ليسهل التعامل معها مع جمع طرق كل أثر في مكان واحد.

ودور تمحيص المادة التي صنفتها والتي أفادني فيه جمع طرق كل أثر في مكان واحد مما ساعدني في عملية تصويب الأخطاء والحكم على عدد كبير من الآثار بالصحة أو الضعف وعليه إما أن أدخله في مادة هذا البحث وإما أن استبعده.

٢) ثم جاءت مرحلة صياغة البحث: ورأيت أن الخطة التي سأسير عليها لابد أن تكون منطبقة على عنوان البحث ومناسبة لجهود الإمام شريح الفقهية.

ولذا تركت الطريقة المعتادة في تقسيم الأبحاث التي تتناول دراسة جهود الشخصيات من دراسة آرائهم في الأدلة المتفق عليها، ثم الأدلة المختلف فيها، واخترت خطة أخرى رأيت أنها تتصف بالأمرين اللذين سبق أن ذكرتهما فكانت خطة هذا البحث على النحو التالي: